عِلْمُ اللِّسَانِيات
دراسة في المفهوم، والمنهج، والعلاقة بالدراسات الأسلوبية

بقلم

د/ زايد بن مهلهل العتيق

رئيس قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب ــ جامعة حائل

بالمملكة العربية السعودية

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴾ (١)

صَدَقَ اللهُ العَظِيمُ

(١) سورة الروم: آية (٢٢)

●مقـدمـة:

الحمد لله صاحب الفضل، ومسبغ النعم، والصلاة والسَّـلَامُ على خير خلقه وأَفصحُ أُمته نَبِيّنا محمد وعلى آله وصـحبه ومـن والاه... وبعد:

فلقد اخترت هذا الموضوع "علم اللسانيات: دراسة في المفهـوم والمنهج والعلاقة بالدراسات الأسلوبية"آملاً استشراف أفق جديد من آفاق علم اللسانيات باتجاهاته الشمولية المعاصـرة، وبيـان مـدى استفادة الدراسات الأسلوبية المعاصرة مـن هـذه الاتجاهـات بكـل مقاييسها وموازينها ومدارسها المختلفة، والوقوف على اسـتفادتها من اللسانيات وبخاصة الأسلوبيات الأدبية بهدف التنـوير، وكـذلك التبيين، ومدى اعتماد الأسلوبيات الحديثة على المناهج اللسانية التي دخلت في صميم المعارف الإنسانية اليوم، وامتزجت معهـا لتشـكل وحدة نسيجية من أجل تفسير النص المنطوق أو المكتـوب تفسـيراً لايظلم العملية الإبداعية التي هي في جوهرها عملية دلالية تتشـكل مكوناتها في الوجدان البشري لتنقل عبر شفرات مختلفـة الألـوان والأشكال، سواء أكانت لغوية أم مجازية أم معجمية أم إرشادية.

وهنا لابد أن أعترف بأن هذا البحث لا يدّعي العمـل الإبـداعي بقدر مايدّعى العمل الوصفي والشرحي الذي يسـعى إلـى التنـوير والتنبيه كما ذكرت آنفاً، وذلك عبر محاور رئيسة ثلاثة:

- **علم اللسانيات: الجذور والثوابت.**
- **علم اللسانيات: المفهوم والمنهج.**
- **علـم اللسـانيات:والعلاقة بالدراسـات الأسـلوبية(الأدبية أنموذجاً).**

والله أسأل أن يجنبني العثرات، وأن يهديني لأقوم السبل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

•تـمـهيـد:

علم اللّسانيات: الجذور والثوابت

أراني في بداية هذا التمهيد، مضطراً إلى تأكيد أن الصفحات التالية ليست رسالتها الكشف عن تاريخ الدراسات اللسانية وجذورها، فهذا ميدان فسيح، لا حدود له، خاصة في ظل وجود هذه الدراسات العديدة على مستوى الدراسات العربية، والدراسات الغربية.

لكنني ارتأيت، وقبل أن أسير قدماً في دروب البحث المتنوعة – أن أقدم ، بشيء من الإيجاز، بعضاً من أصول هذا العلم (علم اللسانيات) باتجاهاته وثوابته، كمقدمة موصولة بالدرس اللساني الحديث، لأن في ذلك "معرفة بثوابت الفكر اللُّغوي القديم، والعوامل التي أسهمت، بفاعلية،في نشأته، ونمو أركانه،واتصاله بمناهج العلوم، والمعارف الإنسانية، حتى العصر الحاضر".(١)

ولنا أن نعلم أن البحث في اللغة قديم، قدم الحضارات الإنسانية، باعتبار أن اللغة، واسطة العقد في الميدان الاجتماعي، وعن طريقها يتواصل الأفراد، ويمارسون طقوسهم الحياتية في مجتمعاتهم في مختلف الاتجاهات. وهي بهذا " ظاهرة اجتماعية، تحيا في أحضان المجتمع، وتستمد كيانها منه، ومن عاداته وتقاليده، وسلوك أفراده، كما أنها تتطور بتطور هذا المجتمع لتكون بذلك نتيجة حتمية للحياة فيه، وذلك حينما يجد أفراده هذا المجتمع أنفسهم مضطرين إلى اتخاذ وسيلة معينة للتَّفاهم، والتعبير عما يجول بالنفس، وتبادل الأفكار.

(١) علم اللسانيات الحديثة: د/عبدالقادر عبدالجليل ص ٢١٤، ط أولى، دار صفاء للنشر والتوزيع- عمان ٢٠٠٢م – ١٤٢٢هـ.

تلك الوسيلة هي اللغة. [١]التي تُعد أهم مظهر من مظاهر سلوك الإنسان. إذاً فهي أكثر من غيرها، بل وقبل غيرها، جديرة بالبحث والدراسة، مادامت مرتبطة بالإنسان إلى هذا الحد. [٢]

والشواهد تأتينا، بيّنة الطالع، من حضارة وادي الرافدين، السومرية، والبابلية، والحضارة المصرية، حيث قدمت هذه الحضارات معطياتها، مدللة على اهتمام القوم، ورعايتهم لهذه الأداة الفاعلة، وقدرتها على تمثيل وجودهم الحضاري والثقافي..

لكن هذه الحضارات، على الرغم مِمَّا أَمَدَّتْنا به من الوثائق، والنقوش، ورعايتها لِلّغة في جوانبها الكتابية، والتفسيرية، والنقل الموازي، إلا أنها لم تكن تصدر عن حس لغوي بيّن، وقاعدة معيارية علمية، ورصيد نظمي، عن التركيب ،والقياس، والاستدلال، والاستقراء، والاستنباط للظواهر اللغوية. ويبدو أنَّ ملاحظاتهم الأولية، كانت تنبع من التفكير الدائب بواقعية هذه الأداة، ووظائفها التواصلية.

وإذا اقتربنا قليلاً من جذور علم اللسانيات وجدنا الدراسات اللغوية قد شقت طريقها بوضوح رؤيا، منذ القرن الخامس (ق.م). وقد سجّلت مع الهنود آفاقاً رحبةً؛ حيث أثرت عنهم دراسات في الأصوات، والقواعد، وقوائم المفردات، وبعض جوانب الدلالة، والبنية..

---

(١) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه: د/ رمضان عبدالتواب، ص ٩، ط٣ الخانجي- القاهرة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م- بتصرف.

(٢) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة: د/نايف خرما، ص ١٦، علم اللغة العام:د/محمد أحمد حماد، ص٣١، ط أولى – دار اشبيلية للنشر والتوزيع – الرياض- السعودية ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

ويعد "بانيني"(حوالي ٦٥٠ ق.م)، من أشهر نحاة الهنود، حيث أَلَّف كتاباً في ذلك سَمَّاه (الأقسام الثمانية) الذي ترجم إلى لغات عِدَّة[١] وقد وصفه بلومفيلد بقوله: " إنَّ نحو بانيني يعد واحداً من أعظم الشواهد القديمة على تقدم العقل البشري". وقال عنه ماكس مولر: "لا يُوجد نحو في أي لغة يمكن أن يُعادل نحوه".[٢]

على أنه لابد من الإشارة هنا إلى أنَّ السمات واضحة بين النحو الهندي، والنحو العربي، وذلك من جانب زمنية الأفعال الثلاثة: الماضي، والمضارع، والمستقبل. وكذلك القيمة العددية (المفرد، والمثنى، والجمع، والصيغ، والزوائد [اللواحق]، وأقسام الكلام، وملحقاتها من اسمية، وفعلية، وحرفية، وأدائية..

كذلك في إطار هذا التقارب بين النحوين: الهندي، والعربي، تحدثت الهنود في جانب الأَصوات عن الأصوات الرئيسة وأَقسامها، ومخارجها وتنوعها، حسب طبيعة الممر الهوائي. وكذلك تناولوا الأصوات فوق التركيبية، كالنبر، والتنغيم، والمقطع، والسكتة، مِمَّا أفاد كثيراً الدراسات الصوتية الغربية، باعتراف لسانيهم المعاصرين، أمثال (جون فيرث). [٣] أَمَّا أَهل اليونان (الإغريق) فكان نصيبهم في ميدان الدرس اللُّغوي لا يرقى إلى ما حققه الهنود؛ فهم ، وإن كان اهتمامهم، باللُّغة، من حيث الجوهر، إلا أنَّهم ركَّزوا على جانب الأصوات منها، بملاحظات تخدم النصوص المسرحية، وفنون الإلقاء الشعري.

(١) البحث اللغوي عند العرب: د/ أحمد مختار عمر ص٥٩، ط القاهرة ١٩٨٨م.
(٢) علم اللسانيات الحديثة: ص٢١٦، وعلم اللغة العام: د/محمد أحمد حماد ص ١٧.
(٣ الأصوات اللغوية: د/عبدالقادر عبدالجليل ص ١٥، ط عمان١٩٩٨م.)

ولَعَلَّ أفلاطون، وأرسطو، أوّل من كتب في النحو، حيث كان للأول فضل التفريق بين الاسم، والفعل، وللثاني فضل إضافة الجزء الثالث (الحرف)، وبعض الأجزاء النحوية الأخرى في باب الأدوات[١] وتقسيمه المشهور للكلمة. ولكن عملهم في اللغة كان متأثراً بالمنهج العقلي الذي كان سائداً بينهم، أي أنه كان عملاً تجريدياً فلسفياً يقوم على المنطق الأرسطي، ومن ثم كانت الموضوعات التي تجذب اهتمامهم تَدور حول البحث في نشأة اللغة، والعلاقة بين اللغة والفكر، والعلاقة بين الألفاظ والأشياء، وأصول اللغة.

وقد قيَّد اليونَانيون إنجازهم الصوتي بدراسة أبجديتهم، اعتماداً على مفهوم الحرف. فكانت لملاحظات أفلاطون المتصلة بالصوامت، والصوائت الأثر البيّن على متجه الفلسفة السوفطائية، التي ميّز فلاسفتها بين اللغة، والكلام، وبين الحروف المكتوبة، والأصوات المنطوقة. [٢]

أما الرُّومان، (تابعو الإغريق)، فقد ساروا على طريقة اليونانيين، حيث حدت بهم التلمذة إلى التقليد، واتباع الأثر اليوناني، في مسائل كثيرة من اللغة، خلا بعض الإشارات عن التقابلية المعيارية، بين اليونانية، واللاتينية، إن كانت تصدر عن سطحية في الأداء، وتخضع إلى منهجية وصفية، تقوم على الاجتهاد الفلسفي عبر منهج عقلي استدلالي رأيناه عند اليونانيين من قبل.

أما السريان، فقد ساروا على خطى الإغريق، بحكم الجوار، والخضوع لسلطانهم، لذا تبدو مسألة اللغة متأثرة بمنهجهم، وتراثهم،

(١) اللغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة: د/عبدالقادر عبدالجليل. المسار اليوناني ط عمَّان ١٩٩٧م.
(٢) الأصوات اللغوية: د/ عبدالقادر عبدالجليل ص ١٥ بتصرف.

فكانت الترجمة النحوية من اليونانية إلى السريانية، ثم مسألة الاقتراض من الإغريقية، وهي ظاهرة لُغوية حَرِيَّةٌ بالتتبع، والدرس.

وسَار النحوي السرياني، هو الآخر، تقليداً للقواعد الإغريقية، ومن أعلامهم في ميدان الدرس اللغوي (يوسف الأهوازي المتوفى سنة ٨٥٠م) و (حنين بن إسحاق أبو زيد المتوفى سنة ٨٧٣م)، وغيرهم ممن اهتموا بنشأة اللغة الإنسانية، وحياة اللغة، والعلاقة بينها وبين الفكر والمجتمع الإنساني، والعلاقة بين الألفاظ والأشياء وأصول اللغة، وكذلك دراسة الأصوات التي تتألف منها اللغة. (١)

وإذا توقفنا عند سيرة العرب أهل الفصاحة والبلاغة والبيان، نَسْتَجْلي جهودهم في ميدان الدرس اللغوي، وجدنا البحث اللغوي عندهم قد انطلق من نبع الفصاحة والبلاغة والبيان (القرآن الكريم)، حيث اعتمد عليه أعلامهم في هذا الميدان، واتخذوا من نصوصه مصدراً رئيساً تقوم عليها دراساتهم اللُغوية التي جعلها القرآن الكريم في مصَافّ اللُّغات الإنسانية على ظهر البسيطة.

ولم يغفل العرب في دراستهم اللغوية الحديث النَّبوي الشريف، وكذلك الشعر العربي والنثر الفنّي للعرب القدامى، لاسيما خطبهم وحكمهم، مما عكس عمق التفكير العربي، وقدرته على العطاء اللساني، الذي جاء صدى لصراع المدارس اللسانية العربية حول

(١) للمزيد حول هذا الموضوع يراجع:
- علم اللسانيات الحديثة: د/عبدالقادر عبدالجليل ص ٢١٨.
- المدخل إلى علم اللغة: د/ رمضان عبدالتواب ص ١١ ط مكتبة الخانجي- مصر.
- علم اللغة: د/ علي عبدالواحد وافي ص٧٢٦ ط ٧ نهضة مصر.
- علم اللغة مدخل نظري في اللغة العربية: د/ محمود عكاشة ص٢٥ ط١ دار النشر للجامعات – القاهرة ٢٠٠٦-٢٠٠٧م.

مسائل في اللغة والنحو، والصرف، والدلالة، والقراءات القرآنية المتعددة. ذلك أن القرآن الكريم " هو الوحي المنزل على محمد–صلى الله عليه وسلم– للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف، أو كيفيتها".(١)

ومن يتأمل الدراسات التي قُدّمت في هذا الميدان يجد علماء العربية قد قدّموا دراساتهم اللغوية على حسب المنهج الوصفي، وعرضوا لقواعد العربية في النحو والصرف، والبلاغة، والعروض بطريقة معيارية، وزاد الأمر توغلاً في فرعيات من جراء احتكاك النحو العربي بالنحو اليوناني، وتأثره بمسائله الفلسفية، والمنطقية، ومناهجه الاستدلالية.

لكن رؤيتهم للمسائل في هذا الجانب من الدرس اللغوي جاءت واضحة كُلَّ الوضوح؛ حيث وصلوا بالبحث اللُّغوي إلى نتائج صوتية، ونحوية ،وصرفية، ودلالية باهرة تنُمُّ عن عمق العقلية العربية، واتساع مداركها في التحليل والتفسير، وكذلك الاستنباط: وهو ما أبرز هذه العقلية وقدرتها في تتبع منازل التحليل اللُّغوي، بينما يؤخذ على بعض من رواد العرب في مجال الدرس اللُّغوي، عدم معرفته باللغات مما يتيح الفرصة إلى وجود الدرس المقارن وتعدد منابره في بلادنا، بمعناه التام، ومنهجيته العلمية، إلا ما أثر عن نفر منهم معرفته بالفارسية، والعبرية، والسريانية، التي لا تعدو أن تكون غير معمقة، مِمّا جعل الدرس اللغوي يشكو من القصور في جوانبه المنهجية، وإن بدت في الأفق أمام الجميع تلك الصراعات التي نشبت بين المدارس اللسانية العربية حول اللغة، والنحو،والصرف،

(١) البرهان في علوم القرآن: للزركشي ٣١٨/١- تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، ط القاهرة – بدون تاريخ.

والدلالة؛ وعكست عمق التفكير العربي -كما أشرنا من قبل- وقدرته على العطاء.

ومن يُطالع الأنصاف للأَنباري، يقف على تلك المجادلات النحوية، التي يغلب عليها طابع المنطق، والفلسفة، في تخريج الكثير من المسائل ومحاكماتها. وفي كشف الأعلام، نقرأ:

أبو عمرو بن العلاء، والخليل، وسيبويه، والكسائي، والفَرّاء، والأصمعي، وأبو عبيدة، وابن الأعرابي، ابن السكيت، وثعلب، ابن قتيبة، والمبرد، وابن جني، وابن دريد، وأبو جعفر النّحاس، والزّجاج، وابن عبَّاد، وابن منظور، والزبيدي، والفيروزبادي، والفارابي، والأشموني، والسيوطي، ابن مالك، وابن عقيل، وابن هشام الأَنصاري، وسواهم، ممن قدَّمُوا للدرس العربي ثروة علمية هائلة حوتها دراساتهم المتنوعة في هذا الميدان، عكست تلك القدرة العالية للعقلية العربية، وهي تحاور اللُّغة، ومجريات تراكيبها، وقد وصلت إلى نتائج بحثية متقدمة في علوم العربية، مما نقف على جوانب منها في دوائر النظم اللسانية باتجاهاتها المتباينة، في علاقاتها المختلفة لاسيما الدراسات الأسلوبية.

علم اللسانيات..

المفهوم و المنهج

لقد عرفت العلوم أواخر القرن التاسع عشر ثورة معرفية كبرى، وخاصة العلوم الإنسانية،واستطاعت من خلال تحولها أن تشتغل و تؤسس مجالها المعرفي على مستويين الموضوع ، والمنهج مما مكنها من أن تحقق قفزة نوعية في تاريخ المعرفة الإنسانية.

وإذا كان الحقل الفكري الإنساني قد شملته هذه التحولات، فإن الحقل اللساني لم يكن بمعزل عن المناخ العام الذي شمل المعرفة الإنسانية ، حيث بدأنا نجد دراسات لسانية مكتملة في صورتها البحثية ، وتامة في قيمتها و أطرها العلمية في نهاية القرن التاسع عشر ،إذ اتسعت دائرة العلوم ، وظهرت النظريات العلمية ، وحصدت بعض نتائجها ،مما أعطى العلم دفعة متقدمه في الرؤية والاستقصاء.

ولعل في الدراسات ، والأبحاث التي قدمها العلماء من قبل ، منذ القرن السابع عشر أمثال (أرنولد، ولانسو)، اللذان درسا القواعد المقارنة للغتين الفرنسية . والإيطالية والثامن عشر، أمثال (جان جاك روسو و آدم سميث)، والتاسع عشر ، أمثال

(ف . شليجل) الألماني الذي عرف بأن ، السنسكريتية أصل اللغات الهندو–أوربية ، فدرس قواعدها : تشريحيا ، معتمداً في تلك الدراسة على المنهج الوصفي ، ثم (راسك) الدانمركي ، الذي يعد مؤسس القواعد المقارنة ، نحويا ومفرداتياً،(وجاكوب جريم) الألماني ، الذي سار ببحوثه على خطوط المنهج المقارن الصوتي للغات الجرمانية . ووضع قوانينه المعروفة باسمه ..

كذلك (فرنزبوب) الألماني الذي يوصف بدراساته الفونولوجية التاريخية ، و(أوجست فرديك بوت) مؤسس النحو الهندو–أوربى المقارن ، و الألماني (ولهم فون همبولت) الذي كتب في علاقة اللغة

بالفكر ، و أن كلا منهما يتوقف نحوه على الآخر، وقد آمن بتصنيف اللغات ، بنائيا إلى : العازلة ، واللاصقة ، و الاشتقاقية .. بعيداً عن التاريخ اللغوي الذي كتب فيه من بعده عالم اللغة الألماني (هرمان بول) ..

ويأتي في هذه السلسة عالم اللغة الإنجليزي (هنري سويت) بدراساته اللغوية الخالدة حينما منح الجانب الوصفي للغة أهمية بالغة، وأصدر سفره في هذا الجانب،كتابه (Primer of Spoken English)

كذلك (شلايشر) الألماني الذي كان من رواد إعادة بناء اللغة الهندو-أوربية على نحو منظم ، وله كتاب في القواعد المقارنة ، وآخر سيطرت من خلاله نظرية (دارون) في النشوء،و الارتقاء (أصل الأنواع) على متجهاته الفكرية. وقد كانت نظرته للغة قائمة على نظرة معاصره الألماني (فرانز بوب) ، التي تذهب إلى: " أنَّ اللغات يجب أن يُنظر إليها باعتبارها أجساماً عضوية طبيعية مكوّنة طبقاً لقوانين ثابتة، وتتطور كأنَّ لها قاعدة فطرية للحياة ، تموت بالتدريج"(١). وقد يذهب في أحيان، إلى دراسة مسألة البقاء للأقوى ، مطبقا هذه الرؤية على اللغات عموماً . وأن اللغة تحتوى في كينونتها على جهاز عضوي (٢).

و لاشك أن هذه الدراسات السابقة قد مهدت لميلاد ما عرف بعلم اللغة العام ، الذي يعد الهيكل الرئيس في الدرس اللساني كما أنها – أي الدراسات السابقة – أرست كثيراً من الأسس المنهجية و

(١) اللغة بين المعيارية والوصفية: د/ تمام حسان ص ٩١، ط الدار البيضاء، ١٩٩٢م.

(٢) تاريخ علم اللغة: جورج مونين، ترجمة/ بدر الدين قاسم ط حلب ١٩٨١م، نقلاً عن: علم اللسانيات الحديثة: د/ عبدالقادر عبدالجليل ص ٢٢٠ .

المفاهيمية للسانيات : و حددت موضوعاتها و اتجاهاتها ، وخطت بهذا التوجيه اللغوي والرؤى البحثية لهؤلاء الرواد _خطوات كبرى، مما دفع بها إلى أن تصير قطباَ

يستقطب اهتمام الدراسات الأخرى كالنحوية و البلاغية و الأدبية .

إن هذه الإطلالة – رغم ما تتسم به من إيجاز – لتمكننا من القول : إن بداية ظهور اللسانيات علماَ مستقلاَ يرجع إلى القرن التاسع عشر ،لاسيما مع محاضرات فرديناند دى سوسير ،

وأسهمت في ذلك ثلاثة أسباب :

الأول : اكتشاف اللغة السنسكريتية : وقد تم ذلك بوضوح مع وليام جونز (١٧٩٤ ت) عام ١٧٨٦م ، الذي كان قاضياَ في كالكتا (في آسيا) ، ثم مع شليجل في كتابه (حول لغة الهنود وحكمتهم) عام ١٨٠٨م ، ثم الأب بارتلمي وكان مبشراَ في الهند ، في كتابه (قواعد السنسكريتية) ثم توالت المؤلفات في انجلترا بعد ذلك ، إلى أن صارت باريس قطب المدرسة السنسكريتية بهجرة اللسانيين إليها.

***الثاني**: **ظهور القواعد المقارنة**: حيث شاع في تلك الفترة أسلوب المقارنة بين اللغات ونظمها ، ومنها كتاب (بوب) عام ١٨١٦م في نظام تصريف اللغة السنسكريتية ومقارنته بالأنظمة الصرفية في اللغات اليونانية و اللاتينية و الفارسية و الجرمانية.

***الثالث**: **نشأة علم اللغة التاريخي** : وذلك نتيجة للقواعد المقارنة،والذي يُعنى بمعرفة جميع التطورات اللغوية في لغة ما، من خلال مجموع تاريخها عبر الحقب.

وكان (سوسير) قد بين "أن سياق اللغة لا يقتصر على التطورية، وبأن تاريخ الكلمة مثلاَ لا يعرض معناها الحالي ، ويكمن السبب في وجود(النظام)بالإضافة إلى وجود التاريخ، وفي أن نظاماَ

كهذا يتركز على قوانين تؤثر على عناصره وترتهن في كل حقبة من التاريخ بالنظام اللغوي المتزامن بالفعل، فالعلاقة الأساسية التي تدخل في نطاق اللغة هي عبارة عن تطابق بين الشارة و المعنى . ومن الطبيعي أن تؤلف مجموعة المعاني نظاماً يرتكز على قاعدة من التمييزات و المقابلات، إذ إن هذه المعاني تتعلق ببعضها ، كما تؤلف نظاماً ما متزامناً إذ إن هذه العلاقات مترابطة ".(١)

بهذا المعنى يكون (سوسير) قد أرسى دعائم المنهج البنيوي اللغوي الوصفي ، بوصف المنهج الأكثر عمقاً في دراسة اللغة، واكتشاف قواعدها و قوانينها ، ويكون العالم اللساني الأول الذي أسس الدراسة اللغة بكونها نظاماً متكاملاً ومتزامناً مستبعداً دراستها انطلاقاً من أية قيمة زمنية .

ثم جاء عالم اللسانيات الفرنسي (إميل بينفينست) حيث عرف اللغة بأنها، رمز في حد ذاتها لا تنطوي على أثر تاريخي إنها (تزامن) و(بنية) وهي لا تؤدي وظيفتها إلا بمقتضى طبيعتها".(٢) والرمز اللغوي ،دال و مدلول ، ويعد هذا التقسيم أحد أهم الثنائيات التي توصل إليها رائد اللسانيات (سوسير) في دراسته للغة لا سيما الدراسة العلمية لها ، والتي حصرها في مفهوم اللسانيات الذي يعنى بحث مظاهر معينة لبيان حقيقة اللغة وعناصرها ونشأتها وتطورها ووظائفها وعلاقاتها وقوانينها مما يترجم دراسة اللسان في ذاته ومن أجله.

---

(١) البنيوية: جان بياجيه، ترجمة/ عارف منيمنة، وبشير أوبري ص٦٤ ط٣ منشورات دار عويدات، بيروت. باريس ١٩٨٢م.

(٢) البنيوية: جان بياجيه، ترجمة/ عارف منيمنة، وبشير أوبري ص٦٤ ط٣ منشورات دار عويدات، بيروت. باريس ١٩٨٢م.

وجرياَ على مذهب أهل الاختصاص ، وبعداَ عن الجدل في الصحة ، و الإعلان ، رأينا أن نأخذ بـ"اللسانيات" "مصطلحاَ" في التعامل مع جوانب اللغة ، توظيفاَ علمياَ ناضجاَ للبحث في مساراتها التنظيمية.

وعليه فإن حد اللسانيات ينحصر في :

"العلم الذي يقرأ اللغة الإنسانية ، على وعى من منظور علمي دقيق ، وعميق ، ويستند إلى معاينة الأحداث ، وتسجيل وقائعها ، قائما على الوصف ، وبناء النماذج و تحليلها ، بالإفادة من معطيات العلوم و المعارف ، الإنسانية الأخرى ، ويرمى هذا العلم إلى كشف حقائق ، وقوانين ، ومناهج الظواهر اللسانية ، وبيان عناصرها ووظائفها ، وعلاقاتها الإفرادية ، والتركيبة ، داخل و خارج بنية النص".[1]

يتضح من التعريف السابق أن اللسانيات تدرس اللغة من كل جوانبها دراسة شاملة ضمن تسلسل متدرج الصوت ،الصرف ، النحو، الدلالة و المعجم ، وتتعدى ذلك اليوم إلى مجالات التواصل الأخرى كالأسلوبية و التداولية . وهي بذلك –أي اللسانيات – تسعى إلى بناء نظرية لسانية شاملة تمكننا من دراسة جميع اللغات الإنسانية . وتكشف في الوقت ذاته عن مهمتها التي لخصها فرديناندي سوسير في ثلاث نقاط:

تقديم وصف للغات وتاريخها ، وإعادة بناء اللغات الأم في كل منها.

البحث عن خصائص اللغات كافة ،ثم استخلاص قوانينها العامة.

أن تحدد اللسانيات نفسها، ويعترف بها ضمن حقل العلوم الإنسانية.

(١)ا لبنيوية: جان بياجيه، ترجمة/ عارف منيمنة، وبشير أوبري ص ٦٤ ط٣ منشورات دار عويدات، بيروت. باريس ١٩٨٢م.

ولعل النقاط السابقة تميط اللثام عن حقيقة اللغة ، وتقترب بنا من موضوعها الذي يتجسد في كونه المتكلم\المستمع المثـــالي ، والذي توجد عنده اللغة موضوع الوصف =أي وصف القدرة اللغوية عند المتكلم\المستمع المثالى . ولماذا وصف القدرة ؟ لأن ما يطبـــع النشاط اللغوي (الكلامي)عند الإنسان هو عدم التجانس والتوافق بين شخص و آخر . فصعوبة معرفة اللغة تعود بالدرجة الأولى إلى عدم التجانس الذي تحدث عنه الرائد اللغوي فردينان دي سوســـير فـــي كتابه (محاضرات في اللسانيات العامة)..

ومعنى ذلك أن في الكلام أشياء كثيرة تجعل فحصه في المختبر بطريقة آلية أمراً صعباً. ومع ذلك فهناك تجـــانس يعـــرف اللغـــة و يقربها بين أفراد المجموعة اللغوية .. إنه النســـق ذو الخصـــائص المشتركة . وهذا ما يقصد به بالمتكلم – المستمع : إذ إن كـــل فـــرد يمكنه أن يتكلم لغة ما أو يسمعها أو يؤولها . فإما ينتج أصواتاً وهو حينئذ متكلم ، أو يلتقطها فيكون آنذاك مستمعاً . وعليه فكل فرد هو متكلم – مستمع في الوقت نفسه.

ونقصد بالمثالي في موضوع علم اللغة (المؤمثل) الشخص الذي جردناه من الظروف الخارجية والخصائص النفسية من هذه الأشـــياء رغم أنها تؤثر في المتكلم . ومعلوم أن للغة جوانب نفسية وأخـــرى اجتماعية ، وثالثة تحليلية ، ورابعة رياضية .. وفكرية و إقليمية مما يفسر قول البعض "إن اللغة كائن حي تام خاضع لناموس الارتقاء و تجدد ألفاظها ،وتراكيبها على الدوام"[1] بتواصل المجتمع و التعبيـــر عن نفسه بها.

(١) اللغة العربية كائن حي : جرجي زيدان ط دار الهلال –مصر- بدون تاريخ ٠

وأصدق دليل على اجتماعية اللغة ، أنها تختلف في المجتمع الواحد الذي يتحدث لغة واحدة ، فالمجتمع يختلف في بعض العادات والتقاليد والطبائع ، وتوجد كذلك فروق لهجية في اللغة التي يتحدثها هذا المجتمع ، وتظهر هذه الفروق في مناطق محلية مستقلة ، وتزداد حدتها عندما تضعف أواصر التواصل بين هذه المناطق ، بل نجد اللغة تختلف باختلاف الطبقات ، و اختلاف أرباب المهن ، فلكل طبقة أسلوب خاص في الحديث يميزها عن غيرها ، وكل أصحاب مهنه يشتركون في مجموعة من المفردات تميز خطابهم عن غيرهم فالتاجر له كلمات تخصه ، والفلاح له لغة تخصه ، وكذلك النجار وغيرهم ، وتتميز كذلك الطبقات المثقفة بأسلوب خاص في الخطاب اليومي يدركه أبناء المستويات الأخرى [1].

واللغة تحمل سمات الشخصية التي تنتجها أيضا،وقد قيل: "حدثني حتى آراك" فحديث الشخص يحمل ملامح شخصيته، ويتضمن فكره، ورؤيته وهذه الملامح الفردية لا تظهر في أسلوب الفرد إلا في إطار اجتماعي يتميز فيه عن بقية أفراده بفكره و أسلوبه ومفرداته .، وقد قيل إن الأسلوب هو الرجل نفسه ، أو هو المتكلم عينه ، فهو صاحب الأسلوب ، أو هو منتجه . مع مراعاة أن تطور المجتمع يؤثر في مستويات اللغة ، فانتقال الأمة من البداوة إلى الحضارة يهذب لغتها ، ويسمو بأساليبها ويوسع نطاقها ، ويكسبها مرونة في التعبير و الدلالة. [2]لأنها بكل وضوح وبيان ابتكار إنساني وله حق ملكيتها ، ويطوعها لحاجاته في الحياة مما يترجم موضوع الوصف = أي وصف القدرة اللغوية عند المتكلم\المستمع المثالي.

---

(١) علم اللغة مدخل نظري في اللغة العربية :د\ محمود عكاشة صـ٩٥ ط دار النشر للجامعات – مصر – ٢٠٠٦م.

(٢) المرجع السابق : صـ ٩٥-٩٤ بتصرف.

ولابد أن نعى حقيقة وصف القدرة التي هي المعرفة الضمنية للمتكلم بلغته ، من أنها لا يتم إلا عن طريق الإيجاز اللغوي ، أي ما ينتجه الفرد من أصوات وعبارات . ومع ذلك فالقدرة مختلفة عن الإنجاز وهي مستقلة عنه مبدئياً . وأعظم دليل على ذلك : الشخص الذي يستطيع أن يستعمل لغة جيدة و بليغة ومركبة بإحكام حين يكون في حالة صحية جيدة قد لا يستطيع إنجاز ذلك إذ كان متعباً أو مريضاً ، فقد يتلعثم أو قد يلحن : فحالته الصحية تجعل إنجازه لا يرقى إلى مستوى قدرته.

إن هدف علم اللغة: هو وصف القدرة اللغوية الباطنية التي تختلف عن الإنجاز اللغوي (ذلك المصطلح اللغوي الذي يخبر عن عطاء الفرد من أصوات وعبارات) وهي التي يشترك فيها أفراد المجموعة اللغوية إلى حد كبير.ولا شك أن الذي سيقوم بهذا الوصف (وصف القدرة) هو النحو[1]، الذي يُعد الآلة الواصفة للقدرة اللغوية. وعلى هذا النحو الواصف أن يكون واضحاً ، ويستطيع أن يرسم لنا السلاسل اللغوية التي تنتمي إلى اللغة ، وتلك التي لا تنتمي إليها . وهو بهذا المعنى سمى نحواً توليديا ، أو واضحاً لا يقبل التأويل أو التخمين حين وضعه للقواعد والقوانين الخاصة بلغة ما.

ولسنا – هنا – صور هدف علم اللغة ، إنما أردنا الدخول إلى عالم الدرس اللساني الذي امتد أثره إلى العلوم الإنسانية ، الأمر الذي يدعونا للوقوف عند منهج اللسانيات إذ نراها تعتمد على ثلاثة معايير أساسية:

(١) يختلف مدلول كلمة نحو هنا عما تعارف علية التراث العربي القديم.

الشمول : دراسة كل ما يتعلق بالظاهرة اللسانية دون نقص أو تقصير.

الانسجام : انعدام وجود أي تناقص في الدراسة الكلية.

الاقتصاد : تتم الدراسة بأسلوب موجز و مركز مع تحليل دقيق.

وهناك تقسيم آخر بالنظر إلى منهجها يشمل مناهج أربعة لدراسة اللغة ، والكشف عن محتوياتها . وقد اعتبر الدكتور عبد القادر عبد الجليل أستاذ علم اللسانيات[1]– هذه المناهج الأساس في البحث اللساني ، ومنها دخلت اللغة ميادين العلوم و المعارف الإنسانية ، مفيدة منها في النظر ، والتحليل لمعطيات الظاهرة اللغوية، فكانت خيوط التواصل تمتد، والدائرة تتسع حتى وجدنا بحوث اللغة تسبح في محيط علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم الأجناس وعلم الرياضيات وعلم الكيمياء وعلم الهندسة وعلم الحاسوب،وعلم الإحصاء، وعلم الأحياء وعلم التشريح، وعلم الفيزياء وسواها عديد.

وقد أدى هذا الدخول اللساني إلى توليد مناهج متعددة ، واختلاف طرق التبادل و الأخذ . ويمكن ملاحظة ذلك من خلال (مرونة العلوم اللسانية)التي أعدها الدكتور عبد القادر عبد الجليل إعداداً دقيقاً[2]يؤكد اتساع دائرة اللسانيات في حقل العلوم الإنسانية

(١) للمزيد حول هذه الآراء راجع كتابه الرائد: علم اللسانيات الحديثة ط أول . دار صفاء للنشر والتوزيع – عمان ٢٠٠٢م ١٤٢٢ هـ .
(٢) المراجع المدونة للمزيد من المرجع السابق :صـ١٦٢ إلى صـ ٢١٣.

ولأن مفردات هذه المدونة تبتعد عن موضوع هذا البحث، فسأقصر الحديث عن هذه المناهج الأربعة الأكثر أهمية في دراستنا هذه ... وهي:

١) المنهج التاريخي : أو اللسانيات التاريخية : والتي تعنى بدراسة تطور اللغات عبر الأزمنة ، وأسباب حدوث التغيرات وكيفياتها.

المنهج المقارن : أو ما يسمى باللسانيات المقارنة : والتي تخص في مقارنة لغتين أو أكثر للتوصل إلى العلاقة بينهما ، وبيان الأصل من الفرع.

المنهج الوصفي : أو ما يطلق عليه اللسانيات الوصفية. وهي أهم قسم في اللسانيات ،وتختص بدراسة وظيفة اللغة و استعمالها من طرف مجموعة من المتكلمين .

المنهج التقابلي[١]: والذي يكون بالتقابل بين لغتين ليستا من أسرة لغة واحدة أو بين لغتين من فصيلة واحدة . وهو أمر يحتاج إلى شيء من الإطناب لتوضيح هذه المناهج ومنهجيتها ، والوقوف على قيمتها و أهميتها في الدرس اللساني الحديث للتفريق بين هذه المناهج اللسانية وأقسام اللسانيات العامة التي تعددت اليوم بحسب اختصاصاتها واهتماماتها ، فبرزت: اللسانيات التعليمية ، والنفسية ، والاجتماعية ، والرياضية والحاسوبية، والتداولية ...الخ.

(١) والذي زادة الدكتور عبد القادر عبد الجليل : انظر المرجع المرجع السابق صـ١١٦.

أولاً المنهج التاريخي:

وهو منهج يدرس اللغة من ناحية حركتها النمائية، في جوانب الدرس اللغوي المتعدد، وحتى أصغر مكوناتها في الأبواب، والفصول، والفروع المؤلفة، لأنه معني بوضع هذه الحركة، وأشكالها ورصد عوالمها المؤثرة، ونتائج ذلك.

ولاشك أن هذا المفهوم للمنهج التاريخي قد جاء نتيجة هذا التصور لطبيعة منهجية هذا المسار من خلال الدراسات التي قدمها علم اللسانيات التاريخي وسجلت عليه الملحوظات التالية: (١)

يتناول المنهج التاريخي دراسة حالات التطور للظواهر اللغوية عبر مراجلها الزمنية، ويشمل ذلك دراسة حركة الأصوات، والتراكيب، والدلالة.

يدرس المنهج التاريخي تحولات اللغة، في جوانبها البنائية، وتوزعها على شكل لهجات، ويشمل ذلك تحول اللهجة والواحدة إلى لغة عامة بين أبناء الجماعة اللغوية، كذلك تحول اللغة من الممارسة الضيقة في مجتمع واحد إلى لغة عالمية، في حالات الحروب، وفرض الهيمنة الاستعمارية، وتوسعاتها السياسية.

يتناول المنهج التاريخي دراسة عوامل الانحسار اللغوي عند الإقليم الجغرافى بلغة من اللغات، وتسجيل العوامل المؤثرة، والظواهر، والبصمات المؤثرة عن هذه اللغة. ودليل ذلك اللغة العربية في مناطق الأندلس، وإيران، والهند، وبعض مناطق أوروبا حين هاجرت مع عوامل المد السياسي، وانحساراتها.

(١) علم اللسانيات الحديثة: ص ١٢٩ وما بعدها بتصرف.

يبحث المنهج التاريخي في الصيغ، والأبواب النحوية، والجوانب الدلالية، التي تخص تاريخ لغة من اللغات. أي أنه معني ببيان حياة اللغة عبر الزمن.

يدرس المنهج التاريخي جوانب الازدواجية اللغوية، ومستوياتها، عبر النظام التركيبي، والتحويلي، والبنائي، ويهتم بجوانب التأصيل المفرداتي.

يعتمد المنهج التاريخي على المخطوطات، والنقوش المحفوظة على ألواح الطين، وأوراق البردى، والأحجار، وهو بهذا على صلة وثيقة بعلم الآثار، ومعطياته، ومناهجه.

يعتمد المنهج التاريخي على اللغة المكتوبة، لأنه يعتقد بأن اللغة المنطوقة لا تمثل إلا شيئاً مخادعاً، وصورة مضللة. والذي يستحق الدرس، والتحليل، والمناقشة وصولاً إلى الحقائق العلمية- وهو اللغة المكتوبة.

وبناءً على هذا التصور، فإن هذا الطرح الذي قال به اللغوي جورج مونين: "حقيق بنا أن نقرّ، ونعترف بأنه لايوجد علم يسمى بالقواعد المقارن...إذ لاتوجد إلا طريقة مقارنة؛ وإنما ما ندعوه - خطأً - بالقواعد المقارنة، ليس إلا شكلاً من أشكال اللغة التاريخي. فإذا ما أردنا بحث القواعد المقارنة لإحدى اللغات، درسنا تاريخ هذه اللغة – على هدي الطريقة المقارنة -"[1] إن هذا الطرح فيه بعض التطرف، وإن كان لا يخلو من إيجابية منطقية. وهو ليس دعوى صريحة لتنحية المنهج المقارن، وتنصيب التاريخ محلة وعلته التداخل بين المنهجين.

(١) تاريخ علم اللغة: جورج مونين، ترجمة: بدر الدين قاسم ص ١٨٣-١٨٧ ط حلب – سوريا ١٩٨١م.

ثانياً المنهج المقارن:

وهو منهج – عند الكثيرين – يعنى بالمقارنة بين لغتين، أو أكثر من أرومة، أو فصيلة، أو كتلة لغوية واحدة؛ كالفصيلة السامية، وما يتفرع منها من لغات، أو الفصيلة الهندو-أوروبية(١)، من حيث الأصوات وتشكيلاتها وبنيتها، ومخارجها، وصفاتها، ووظائفها. كذلك دراسة البناء الصرفي، وحدوده المختلفة، والبناء الدلالي والقواعدي – المعياري، والعروضي، والبلاغي.

ويبدو أن جنوح اللغويين صوب المنهج المقارن مع بداية ظهور اللغة السنسكريتية التي كانت حافزاً رئيساً للدراسات المقارنة، على امتداد تاريخ علم اللسانيات الحديث، وبالتحديد بداية من القرن التاسع عشر الذي كان يمثل نقطة الارتكاز البحثي، عند لغويي هذه الفترة- كان باعتباره مدخلاً واسعاً بيناً لدراسة أبعاد التاريخ الأول. ومع تسجيل الاعتراف بقدرة البحث المقارن على الكشف عند حقائق في ميادين اللغة إلا أنه يجتر من السلف، أهل الفلسفة، والمنطق اليوناني بعضاً من رؤياهم. ومن أجل هذا كان من الضروري التوقف أمام بيانات المنهج المقارن، ومستلزماته، مع جوانبه التحليلية، ومؤشرات قواعد التحكم حتى يظهر جلياً في الدرس اللساني. وقد جاءت بيانات هذا المنهج على النحو التالي:

---

(١) للمزيد يراجع هنا:
- معجم اللسانيات الحديثة: د/ سامي عياد وآخرون ص ١٩-٢٠ ط لبنان – ناشرون ١٩٩٧م.
- دراسات في فقه اللغة: د/ صبحي الصالح من ص ٤٥ وما بعدها ط بيروت ١٩٦٠م.
- علم اللغة: د/ علي عبدالواحد وافي من ص ١١٦ وما بعدها ط القاهرة ١٩٩٧م.

يدرس اللساني المقارن مجموعة الجوانب الصوتية الممتدة على طول مساحة (المادة اللغوية) ، ويقوم بعملية تحليلها؛ وذلك بفرز العناصر المتشابهة، وتسجيل ملاحظاته عليها.(١)

يدرس اللساني المقارن العدد ومضاعفاته المعتمدة في العد الحسابي؛ لأنه يعكس الصلة الحميمة بين المجموعات اللغوية المدروسة.

دراسة جوانب الصرف، ومكوناته من الوحدات الصرفية، وأنظمة السوابق، واللواحق، والدواخل، وأبنيتها التركيبية، والتنوعات الصرفية، كاسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، واسم الآلة، واسمي المكان والزمان، والمفرد، والمثنى، والجمع، وأبنية الأفعال؛ من حيث التجرد، والزيادة، والتعدي، واللزوم، وأبنية الأسماء.

دراسة جوانب النحو، من حيث مقارنة الضمائر المختلفة لأنواع الجنس، والعدد، والغيبة، والحضور، والنكرة، والمعرفة، والأفعال، وحركات الإعراب المختلفة، والكلمات، والجمل، والتراكيب، والأدوات، وحروف الجر، والأسماء، وسواها من مركبات، ومقتنيات المادة النحوية.

يدرس اللساني المقارن جوانب دلالة الوحدات اللغوية، وتاريخ الكلمات، مع بيان صفات التماثل، أو التقارب، وطرائق الاستعمال، مع

(١) مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن: سباتينوموسكاتي وآخرون. ترجمة د/ مهدي المخزومي، د/عبدالجبار المطلبي ص٧٩ وما بعدها ط بيروت ١٩٨٣م.

استبعاد الألفاظ المستعارة من لغة أخرى. وهذا الجانب يفيد صناع المعاجم اللغوية في تأصيل موادهم. (١)

وما سبق يؤكد حقيقة أن علماء اللسانيات المقارنة مع هذا الفيض من التفصيلات، إنما أرادوا الوصول إلا حدود "اللغة الأم" أو اللغة الأصلية التي يعرفها الدكتور السّعران بقوله: "لغة ينشئها اللغوي من إعادة فرضية لبناء أصل لمجموعة مترابطة من اللغات. وهذا البناء يقوم على ربط الأشكال القديمة، التي يتأكد منها مع أشكال أخرى فرضية".(٢)

ثالثاً المنهج الوصفي:

وهو منهج يعتمد في المقام الأول على اللغة المنطوقة، وينظر إلى الظاهرة اللغوية نظرة وصفية تقوم على الملاحظة المباشرة؛ وذلك في الوقت الذي غلبت فيه المناهج التاريخية، والمقارنة على الدراسات اللسانية في القرون السالفة للقرن العشرين، واصطبغت بتيارات البحث في النصوص المكتوبة، وهي تكشف عن أصول اللغات، وتسافر عبر الوثائق المأثورة عن الهنود، والأغريق، والرومان، والعرب، في ميادين اللغة، وهي تسجل ملاحظتها في جوانب النظم، والصوت والصرف، والدلالة، والمعجم؛ وصولاً إلى سمات التماثل في مكونات هذه اللغات. بغية إعادة بنائها، وانتظامها في أُسَرٍ لغوية، وتفرعها على هيئة لهجات...

وقد شملت هذه الملاحظات -أيضاً- دراسة عوامل الانحسار، والازدواجية اللغوية. وهي بهذا التوجيه قد ركزت على دراسة اللغة في جوانبها النمائية، اعتماداً على نصوص اللغة المكتوبة في فترات

(١) للمزيد حول هذا المنهج يراجع: علم اللسانيات الحديثة: ص ١١٧-١٢٧ مرجع سبق ذكره.
(٢) علم اللغة: د/ محمود السعران ص ٢٥٢ ط بيروت. بدون تاريخ.

زمنية ممتدة، على خلاف المنهج الوصفي الذي اعتمد على اللغة المنطوقة، والنظر إلى الظاهر اللغوية نظرةً وصفية، تقوم على الملاحظة المباشرة.

ويبدو أن اللسانيات الحديثة في سعيها وراء (تنظيم) هذا المنهج وتطبيقه على ظواهر المنظومة اللسانية كانت نتيجة غرق الدرس اللغوية في تيارات المنهج الاستدلالي؛ فسعت جاهدةً لتخليصه من هذه النزعة، آخذة اللغة لذاتها، دون أي نظرة تفرض عليها من خارج الدائرة اللغوية، معتمدةً على تقنيات الوصف في كل علومها.

ذلك أن علوم المنهج الوصفي، المعتمدة على تقنيات الوصف، تعد من منتجات لسانيات القرن العشرين المعاصرة، مثل: علم الصرف – الوصفي، علم الصرف الصوتي، علم الصوت الوصفي، علم الدلالة الوصفي، علم النحو الوصفي، علم المعاجم الوصفي، الذي يقوم على مستويين مثل:

معاجم الألفاظ، أو معاجم المعاني. من هنا يتضح أن المنهج الوصفي يقوم على رصد، ووصف الظاهرة اللغوية ذات الوجود العقلي؛ ولذا يوصف هذا المنهج أحياناً بأنه تركيبي، أو بنيوي. معتمداً في تحقيق منهجيته على هذه الركائز الثلاث:

- **الركيزة الأولى: وحدة الزمان..**

وهي ركيزة معنية بالفترة الزمنية التي تدرس فيها اللغة من جوانبها الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، والبلاغية؛ حيث تؤكد على تحديد (الزمان) الذي تقع في محيطه هذه الدراسة؛ لأن اللغة تتغير بمرور الزمن. ومن خلال هذا المحور الثابت، يهدف هذا المنهج إلى الاهتمام باللغة المنطوقة، ويسجل ما يبثه المتكلم، لا مايبث إليه. وهذه نقطة مهمة في دائرته، لأن اللغة في منظور

(اللسانيين – الوصفيين) نظام صوتي، مؤلف من مجموعة من العناصر، في المقام الأول، لذا يجب أن يؤخذ عامل الزمن منطلقاً جوهرياً في الدرس الوصفي. وفي هذا المتجه تعد اللغة المنطوقة هي مادة "الوصفي" وتشكل مانسبته ٩٠% حين الشروع في البحث. أما النسبة الباقية ١٠% فإنها قد تعطى للغة المكتوبة، ولكن بشرط أن تكون متزامنة.

وما سبق يؤكد حقيقة أن المنهج الوصفي يؤكد الاعتناء بالفترة الزمنية، وتحديدها، وعدم الخلط بين المراحل الزمنية المتعددة، التي مرت على اللغة. كما أنه لا يهدف إلى رسم الحدود، ووضع القواعد المعيارية، لكي يفرضها على الآخرين.

- **الركيزة الثانية: وحدة المكان..**

وتؤكد هذه الركيزة على تحديد المساحة المكانية التي تؤطر حدود البحث والدراسة؛ لأن اللغة تتغير، وتنمو، وتتطور، باختلاف الأمكنة والبقاع. لذا فإن وحدة المكان (البيئة) تسير بخط متوازٍ مع وحدة الزمان من حيث درجة الأهمية في المنهج الوصفي.

أما الركيزة الثالثة: وحدة المستوى..

فإن المنهج الوصفي يوليها قدراً من الاهتمام، والرعاية؛ ويعده اللسانيون – أي المستوى – ركناً مهماً ورئيساً من أركان المنهج الوصفي، الذي يعد من أهم الأقسام في اللسانيات.

ويعنى الوصفيون بالمستوى طبيعة وسيلة الاتصال اللغوي (المنطوق، أو المكتوب) ، شرط ألا يبتعد كثيراً في زمنيته عن وقت إقامة الدراسة. وتشمل هذه المستويات: مستوى اللغة (الفصحى، والوسطى، والعامية) ، أو نوع الفن الذي يتعامل معه (أدبي ، كالشعر، والنثر، والقصة، والمسرحية، والمقالة، والرسالة الأدبية

،والمقامات، والوصايا، والخطب، والأمثال، والأقوال المأثورة، والحكم)، أو (علمي في مجالاته المتعددة العلوم والمعارف الإنسانية). وقد يعتمد (الوصفي) في دراسته للمستوى على طبيعة المتكلم، وشخصيته العلمية، والثقافية، أو على الراوي اللغوي حين يدرس مستوى لهجة معاصرة، كمصدر من مصادر منهجه الوصفي. (١)

رابعاً المنهج التقابلي:

يعد المنهج التقابلي من أحدث مناهج الدراسات اللسانية التطبيقية الحديثة. وقد نشأ بعد الحرب العالمية الثانية، حينما استجدت الحاجة إلى مواجهة الصعوبات في ميدان تعلم اللغات الأخرى. ويركز هذا المنهج التقابلي على بيانات النظام اللغوي للغة الأم، واللغة المراد تعلمها"اللغة المنشودة" – اللغة الثانية. لذا فإن ميدان المنهج التقابلي تطبيقي بحت، يهدف إلى المقابلة، ويعتمد على المنهج الوصفي، موظفاً نتائج بحوثه في مجال علم اللسانيات التطبيقي.

وقد اختلف اللسانيون في طبيعة هذا المنهج، حيث يرى أغلبهم أن التقابل قد يكون بين لغتين ليستا من أرومة واحدة، أو أسرة لغوية تنتمي إلى نفس الأصل، كالعربية، والانجليزية، والفرنسية، والعبرية؛ بينما يرى فريق آخر أن التقابل لا يكون إلا بين لغتين من فصيلة واحدة. ويؤكد آخرون أن التقابل قد يشمل المستويات اللغوية الأخرى التي تنشأ من اللغات عموماً.

---

(١) ينظر هنا للمزيد:
- الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي: د/ عبدالقادر عبدالجليل ط عمّان ١٩٩٧م.
- البنية اللغوية في اللهجة الباهلية: د/ عبدالقادر عبدالجليل ط عمّان ١٩٩٧م.

وأرى أن الأوجه السابقة تقترب من الصواب كثيراً، وإن كنت أرى أن التقابل قد نشأ – في الأصل – بغية درس أو فعل تعليمي يرنو إلى هدف تطبيقي بحت، خاصة إذا تذكرنا أن ميدان المنهج التقابلي تطبيقي بحت، يهدف كما ذكرنا قبل قليل – إلى المقابلة، ويعتمد على المنهج الوصفي؛ موظفاً نتائج بحوثه في مجال علم اللسانيات التطبيقي.

وعليه فإن هدفه هنا – كما ذهب عالم اللسانيات الدكتور عبدالقادر عبدالجليل[1]– تطبيقي، يمثل في تعلم اللغات وتدريس طرقها في الاكتساب، عن طريق رصد المعوقات، والصعوبات، أو التداخلات اللغوية، التي تطفو على السطح حين الشروع بعملية التعلم. لذا لا ضَيْرَ من استخدام مصطلح التقابل في عموم ميادين تعلم اللغات، سواءً كانت من فصيلة واحدة، أو فصائل لغوية عدة، وفي كافة مستوياتها اللغوية.

وماسبق يأخذنا نحو أهداف هذا المنهج التقابلي، والتي تتمثل في: التعرف على الظواهر الصوتية، والنظمية، والدلالية، والعروضية، والبلاغية، عن طريق رصد عناصرها ومكوناتها التركيبية، وإصدار البيانات القيميّة لها في النظامين، أعني نظام اللغة الأم، واللغة المراد تعلمها؛ ويعتمد المتخصصون في ميدان تدريس اللغات الأجنبية على هذا المنهج عند إجراء بحوثهم، ودراساتهم، من مثل: تدريس اللغة الإنجليزية، أو العربية كلغة ثانية. وهنا يجدر الإشارة إلى أن هذا المنهج التقابلي يبحث في مسائل متعددة مثل:

الازدواج التقابلي: وتظهر هذه المسألة في العربية في المقابلات، مثل : (صرير – خرير – ضرير – جرير – حرير –

(١) راجع كتابه: علم اللسانيات الحديثة: ص ١٣٦ وما بعدها.

سرير) أو (ساد – صاد – حاد – جاد – كاد – عاد) أي الكلمات التي تظهر في اختلافها في مابينها بصوت واحدٍ فقط.

تحليل الأخطاء: وهي مسألة واضحة تتداخل مع المسألة الثالثة حين الشروع بتعلم لغة ثانية.

التداخلات اللغوية: وهي مسألة تتصل مع المشكلات التداخلية اللغوية، التي تظهر حين الشروع بتعلم لغة ثانية.

التحليل اللغوي: ويبحث المنهج التقابلي هذه المسألة بالإفادة من الدراسات التاريخية، والمقارنة، والوصفية لنظامين لغويين، عن طريق التجزئة إلى العناصر الصغرى، أو التحليل التوزيعي، أو التحليل إلى المكونات المباشرة. [1]

(١) للمزيد يراجع المرجع السابق ص ١٣٦-١٣٩ بتصرف.

علم اللسانيات..
والعلاقة بالدراسات الأسلوبية (الأدبية أنموذجاً)

يمثل "الأسلوب" موضوعاً لعلم مستحدث وهو علم الأسلوب أو الأسلوبية وهو ما يقتضي الوقوف عند بعض التعريفات التي يمكن الإفادة منها عند استجلاء العلاقة بين الدراسات الأسلوبية وعلم اللسانيات..

وفي البداية يعرف الدكتور محمود عياد الأسلوبية أو علم الأسلوب بأنه: " مجال من مجالات البحث المعاصرة يعرض بالدرس للنصوص الأدبية وغير الأدبية محاولاً الالتزام بمنهج موضوعي يحلل على أساسه الأساليب، ليظهر جماع الرؤى التي تنطوي عليها أعمال الكتّاب، ويكشف عند القيم الجمالية لهذه الأعمال منطلقاً من تحليل الظواهر اللغوية والبلاغية للنص".[١]

ولاشك أن " الحديث عن الأسلوبية الحديثة هو الوسيلة الصحيحة لعقد مقارنة بينها وبين موروثنا البلاغي من خلال تحديد مفهوم الأصالة والمعاصرة، بحيث لا يكون هناك تعصب لقديم أو انغلاق أمام جديد"[٢] يأتي على حساب جماليات التعبير الذي نسعى إليه مع ما يسمى بالأسلوبية، إذ أنها " الوصول إلى وصف وتقييم علمي محدد لجماليات التعبير في مجال الدراسات الأدبية واللغوية على نحو خاص، ولا تكاد تتعداها إلى غيرها من المجالات" [٣].

---

(١) الأسلوبية الحديثة محاولة تعريف: د/محمود عياد ص ١٢٣ – مجلة فصول ج١ مجلد ١ عدد (٢) يناير ١٩٨١م.

(٢) البلاغة والأسلوبية: د/ محمد عبدالمطلب ص ٥ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م.

(٣) البلاغة والأسلوبية: د/ محمد عبدالمطلب ص ٥ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م.

ويعرض الدكتور فتح الله سليمان عدداً من التعريفات للأسلوبية هي: "الأسلوبية نوع من النقد يعتمد في دراسة النص على لغته التي يتشكل منها، وينصرف عن ما عداها من جوانب تتصل بحياة الكاتب وظروفه النفسية والاجتماعية وواقع مجتمعه الذي يعيش فيه ولا تسهم في التعرف المباشر على الأثر الأدبي ذاته" (١).

"والأسلوبية بهذا – أي بوجود مستوى اللغة والكلام ثم مستوى الكلام العادي والأدبي الذي يهدف إلى الإقناع والتأثير كما قال دي سوسير – علم وصفي يعنى ببحث الخصائص والسمات التي تميز النص الأدبي بطريقة التحليل الموضوعي للأثر الأدبي الذي تتمحور حوله الدراسة الأسلوبية".(٢)

وبناءً على تفرقة دي سوسير بين اللغة والقول يرى الدكتور شكري عياد أن علم الأسلوب يدرس الفروق الفردية في الاستعمال اللغوي(٣). ويعرفه بأنه " يدرس الإمكانات التعبيرية للغة، أي الوسائل التي يملكها الجهاز اللغوي نفسه لأداء معانٍ تتجاوز الإغراض الأولية للكلام" (٤).

ويقدم الدكتور عياد في موضع آخر تحديد تلامذة دي سوسير لموضوع علم الأسلوب بأنه الأسلوب وهو الطريقة المتميزة في استعمال اللغة (٥).

---

(١) البلاغة والأسلوبية: د/ محمد عبدالمطلب ص ٥ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م.
(٢) البلاغة والأسلوبية: د/ محمد عبدالمطلب ص ٥ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م.
(٣) مدخل إلى علم الأسلوب: د/شكري عياد ٢٨-٢٩
(٤) اللغة والإبداع: د/ شكري عياد ص ٥-٦.
(٥) المرجع السابق: ص ٤٢.

وباستصفاء هذه التعريفات السابقة للأسلوبية أو علم الأسلوب نجدها تشمل العناصر التالية:

أولاً موضوع الدراسة الأسلوبية:

ويتسع هذا العنصر ليشمل ما يلي:

الإمكانات التعبيرية للغة والتي تستخدم لأداء معانٍ وراء الأغراض الأولية (وهو نفس موضوع علم الأسلوب عند دي سوسير) [1]– النصوص الأدبية وغير الأدبية – الاستعمال الفردي للغة – النص الأدبي – الظواهر اللغوية والبلاغية في النص. ويلاحظ استبعاد كل ما سوى اللغة في النص عن موضوع الدراسة كما يلاحظ أن دراسة الإمكانات التعبيرية للغة العربية قد تم إنجازها بالفعل فيما تملكه من رصيد ضخمٍ من التراث اللغوي والبلاغي.

ثانياً منهج الدراسة الأسلوبية:

وتراه يتسم بعدة خصائص هي:

أنه منهج علمي – موضوعي – لغوي – تحليلي – وصفي – تقييمي.

ثالثاً الغاية من الدراسة الأسلوبية:

هي الكشف عن القيم الجمالية للنص – الكشف عن الجوانب الفكرية والنفسية للكاتب.

---

(١) للمزيد حول هذا الموضوع يراجع:
- المنهج الأسلوبي في النقد الأدبي في مصر – التطور- النظرية – التطبيق : مديحة جابر السايح ص ٩٨ وما بعدها ط الهيئة العامة لقصور الثقافة – مصر ٢٠٠٣م.

والعناصر السابقة تؤكد حقيقة أن لكل علمٍ مقومات أو عناصر ثلاثة: " موضوع محدد يميزه عن غيره من العلوم، منهج محدد ، ونتائج يعدلها ويطورها الباحثون فيه".(١)

ويبدو مما سبق أن تيار الأسلوبيات قد فرض حضوره في الساحة النقدية، وأصبح الممارس الأول لفعالياتها الجمالية، دون أن يكون في ذلك أي مصادرة على تيارات أخرى لها توجهها النقدي الخاص.

"وقد ازدهرت أهمية الدرس الأسلوبي بعد ان تعددت مداخله ، وهو في هذا التعدد يحاول أن يتخلص من سيطرة علم اللغة عليه".(٢) لكن الملاحظ المنصف يرى حقيقة كيفية استثمار لأسلوبيات اللسانيات الحديثة، وكيف امتزج فروع كل منها امتزاجاً شديداً سيما في الدراسات الأسلوبية لتشكل فيما بعد أسلوبيات مختلفة.

والدراسة هنا لن تكون مسهبة، فليس من أهداف هذا البحث التفصيل في حل المسألة اللسانية البحتة: ولكن قصارى جهدنا أن نقف على علاقة اللسانيات بالأسلوبية وخاصة في الأدب. ومعلوم أن اللسانيات أو(علم اللسان) هي الدراسة العلمية للغات البشرية كافة من خلال الألسنة (اللغات) الخاصة بكل قوم من الأقوام. ونعني بالدراسة العلمية البحث الذي يستخدم الأسلوب العلمي المعتمد على الملاحظة والتجريب والاستقراء، وبناء النظريات الكلية من خلال وضع نماذج أو مناهج قابلة للتطوير والضبط.

---

(١) مناهج البحث الفلسفي: د/محمود زيدان ص ١٣٥ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ م.

(٢) قراءات أسلوبية في الشعر الحديث: د/ محمد عبدالمطلب ص١١ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥م.

ولاشك أن ارتباط اللسانيات بظواهر لغوية و غير لغوية جعلها تتشعب إلى فروع عديدة يعنى كل فرع منها بظاهرة معينة كما يتضح عبر هذا التفصيل:

فاللسانيات النظرية تعنى بدراسة الأصوات اللغوية دراسة فيزيولوجية وفيزيائية وسمعية ودماغية. كذلك تعنى بدراسة التراكيب اللغوية من حيث بناء الجملة وبناء الكلمة ورتبتها داخل الجملة، ومن حيث القواعد التي تصوغ الكلام وتضبطه في الوقت نفسه. وتعنى اللسانيات النظرية بالدلالة التي تفرزها هذه الأصوات والتراكيب سواءً أكانت دلالة خاصةً أم عامةً، معروفة ومخزنة في الدماغ أم غير ذلك.

وبكلمة دقيقة أنها تعنى ببيئة المعنى وكيفية توليده في اللغة وخارج اللغة، وتعنى أيضاً بالقواعد التي تولد المعنى والضوابط الموضوعة على تلك القواعد. ومن المنتظر أن اللسانيات النظرية هذه وفروعها (الصوتيات والنحويات والدلاليات) سيكون لها أكبر الأثر في تطوير ما يعرف بـ " الأسلوبيات الأدبية " ولاسيما من حيث استفادتها من المفاهيم الصوتية والتركيبية والدلالية.

واللسانيات التطبيقية تبحث في الوظائف التربوية للغة من أجل تعليمها وتعلمها، وتبحث أيضاً في الوسائل والتقنيات المنهجية (البيداغوجية) التي من خلالها يتم تعليم اللغة وتعلمها. وهذا الاتجاه اللساني سيكون له دوره المهم في اختيار الأساليب الأقل سهولة ووضحاً في النصوص الأدبية التي تتناسب والناس الذين يتعلمون هذه اللغة.

ولسانيات الأنثروبولوجية تبحث في الصلة التي تربط اللغة بأجناس البشر، وكيفية تقسيم هذه الأجناس للغة طبقاً للواقع

الفيزيائي الذي يحيط به. وهذا النوع من الاتجاه اللساني سيكون لـــه دوره في صياغة المكونات الأسلوبية عند الكاتب، تلك المكونات التي تصوغ الأسلوب عموماً معتمدةً على الخلفية الثقافيـــة والاجتماعيـــة والتاريخية والدينية التي يتبناها كل جنس من الأجناس البشرية.

اللسانيات البيولوجية تبحث في العلاقات القائمة بين اللغة وبين الدماغ، وذلك لمعرفة البنية اللغوية – الإدراكية عند الإنسان وكيفيـــة تطورها. وبعبارة دقيقة أنها تزيد نشـــوء الأمـــراض اللغويـــة عنـــد الصغار والكبـــار كالتأتـــأة والفأفـــأة والتمتمـــة والتعتعـــة واللثغـــة والحبسة... الخ

وهذا الفرع اللساني سيكون له ارتباط وثيق بأســـلوب الكاتـــب وأسلوب الخطيب من حيث بلاغته وفصاحته وخطابته وأثر ذلك على المتلقي، كما هو الحال عند الكتاب والأدباء والخطبـــاء الـــذين قـــد يصابون بعيب كلامي والذين يمكن أن يحدث ما يسميه الجاحظ (العيّ والحصر واللثغة) كما هو الحال عند واصل بن عطـــاء الـــذي اتخـــذ الجاحظ أنموذجا لهذا النوع من المرض اللغوي.

اللسانيات الرياضية تبحث في اللغة من أجل تطويعها في أطـــرٍ رياضيةٍ وذلك لحوسبتها في الحاسوب بعد ضبط قواعدها الصـــوتيةً والنحوية والدلالية، وجعلها أكثر تجريدية من أجل تكثيفها ووضـــعها في برامج معينة تفيد في الدقة والعلمية والســـرعة القصـــوى فـــي البحث اللغوي من جهة، وتفيد في الترجمات الآلية من جهة أخرى.

اللسانيات الحاسوبية المعلوماتية التـــي لهـــا علاقـــة وشـــيجة باللسانيات الرياضية. وتبحث في العلاقة القائمـــة بـــين الحاســـوب والهندسة الإلكترونية مـــن جهـــة وبـــين اللســـانيات والمعلوميـــات (البرمجيات) من جهة أخرى.

ويمكن استثمار هذا الاتجاه اللساني في معرفة شيوع كلمات معينة في أسلوب كاتب معينٍ أو معرفة مدى استخدامه لنسب لغوية معينة، مقارنة مع نسبٍ أخرى، كنسبة الاسم إلى الصفة، أو نسبة الصفة إلى الفعل، أو نسبةٍ التركيب إلى الجملة، أو نسبة تداخل الجمل فيما بينها.... الخ.

وأخيراً وليس آخراً اللسانيات الاجتماعية وتبحث في العلاقة القائمة بين اللغة وبين المجتمع، فاللغة بالإضافة إلى كونها " عنوان انتمائنا الوطني والإقليمي والاجتماعي ، وعنوان شخصيتنا وتكويننا كما يؤكد فيلي ساندريس"[1] ، هي ظاهرة اجتماعية كما يذهب إلى ذلك دي سوسير، تعكس – لأنها كما يقول: " نسق من العلامات التي تعبر عن الأفكار[2]– تعكس كل العادات والتقاليد التي تطبع مجتمعا من المجتمعات : ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [3].

ومن الموضوعات التي يبحثها هذا الاتجاه اللساني اللُغة واللهجة وتأثرهما بالمحيط الجغرافي ، كما يبحث في العلاقات الاجتماعية والثقافية في المجتمع الواحد ، وأثر ذلك في تعدد المستويات اللغوية ضمن ذلك المجتمع . فهذا الاتجاه يرصد مثلاً الفروق القائمة بين لغة النساء ولغة الرجال (قارن مثلاً بين بنية اللغة في روايات نجيب محفوظ ، وبين بنية اللُغة في روايات غادة السمان) ويرصد المستويات الكلامية اللغوية طبقاً لسياقاتها المهنية

(١) نحو نظرية أسلوبية لسانية: فيلي ساندريس. ترجمة/ د.خالد محمود جمعة ص ١٦٥ ط أولى، دار الفكر – دمشق – سورية ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

(٢) العلاماتية (السيميولوجيا) قراءة في العلامات اللغوية العربية: د/منذر عياشي ص ١٨٩ كتاب بالرياض رقم (١٦١).

(٣) سورة الحجرات: من الآية (١٣).

والاجتماعية وأثر ذلك في صياغة الأسلوب ، ثم يبحث في الخطاب المنطوق والخطاب المكتوب سواء أكان هذا الخطاب جنساً أدبياً أم كلاماً لغويا عاديا لايدخل في إطار الأدب مما لا يختص به البحث الذي يقف عند الجنس الأدبي . وإن أختلف البعض حول الأسلوبيات اللسانية والأسلوبيات الأدبية .

فلقد عد جاكبون وريفاتير أن الخلاف بين الأسلوبيات اللسانية والأسلوبيات الأدبية هو خلاف ظاهري أكثر منه خلافاً واقعياً، ذلك لأن الأسلوبيات اللسانية عندها تمثل الإطار النظري ، وإن الأسلوبيات الأدبية تمثل المادة التطبيقية في نقد الأسلوب.

وعلى هذا فإن الأسلوبيات اللسانية لابد أن تعتمد على النصوص الأدبية من أجل استنباط الخصائص الأسلوبية للغة التي تُعد الموضوع الرئيسي للسانيات الحديثة، وإن الأسلوبيات الأدبية لابد أن تعتمد في تعريفاتها ومقولاتها ومبادئها على اللسانيات الحديثة لكي تكون أكثر منهجية وموضوعية وعلى هذا الأساس حاول جاكبون وريفاتير دراسة العلاقات الوظيفية النفعية (البراغماتية) للعناصر التي تكون الأسلوب في النص الأدبي معتمدين بذلك على المعايير و المقاييس التي جاءت بها اللسانيات الحديثة [1].

ولقد عبر الباحث لأسلوب جيرالد أنطوان عن الاتجاهين الأسلوبيين (اللساني والأدبي) خير تعبير عندما صنفهما ضمن ما يعرف بـ (أسلوب الأشكال) و(أسلوبية المواضيع) فهو يقول:

"أسلوبية الأشكال(اللسانية) تنطلق من المعطى،النص الأدبي يعامل هنا على أنه نظام قيم أو مؤشرات موظفة لهدف دلالي

(١) مجلة عالم الفكر: مجلد (٢٢)- العدد (٣،٤) يناير-مارس-إبريل-يونيو ١٩٩٤ ص ١٤٥.

اصطنعه المرسل أو أنه يطرح إمكانية مستمرة للاستقبال و الإدراك من قبل القارئ.أما أسلوبية المواضيع (الأدبية) فهي تهتم مباشرة بالمدلولات و تتلخص فكرة هذا المنهج بالخضوع للموضوع الذي هو الأثر الغنى في معطاة،أي مجموعة من الدوال مترابطة بلا انفصام مع كتلة من المدلولات" [1].

ولكن ينبغي على الباحث الأسلوبي أن يعرف أن اللسانيات الحديثة أفرزت وما تزال تفرز العديد من الاتجاهات اللسانية المعاصرة،وعليه الاستفادة من جميع هذه الاتجاهات اللسانية،بحيث يمكنه الاتكاء على القضايا الأساسية اللسانيات التي لابد للأسلوبيات من التعامل معها والاستفادة من تقنياتها ومفاهيمها التي توضح بعضاً منها من خلال عرض الاتجاه اللساني الأدبي.

□ **اللسانيات الأدبية والأسلوبيات** [2]:

اللسانيات الأدبية هي ثمرة حديثة نبتت من العلاقة القائمة بين اللسانيات والأدب.كيف يمكن الكاتب أو الأديب أن يستثمر اللسانيات ليكون عمله أكثر تأثيراً في المجتمع؟وكيف يمكن للساني أن يستفيد من الأجناس الأدبية(المنطوقة و المكتوبة)ليغنى نظرياته اللسانية لتكون أكثر دقة وشمولية؟إن المسوغ العلمي لجدلية هذه العلاقة الديناميكية هو أن منطلق الكاتب والأديب من جهة ومنطلق اللساني من جهة أخرى هو واحد ألا وهو (اللغة).وإن العلاقة بين اللغة والأدب خلقت مستويات أسلوبية مختلفة ألوانها يمكن للأديب أن

(١) الألسنية والنقد البنيوي: د/محمد نديم خشفة ص ١٥٤-١٧٠ جامعة قسنطينة- الجزائر.

(٢) لقد سبقني في معالجة هذا الموضوع الدكتور/ مازن الوعر في دراسته العلمية الرائدة "الاتجاهات اللسانية المعاصرة ودورها في الدراسات الأسلوبية" لمن أراد المزيد.

يختار منها المستوى المناسب الذي يتوجه به إلى القارئ أو السامع لتحقيق هدف معين.والكاتب عندما يختار الأسلوب الذي هو جزء من العلمية الاتصالية يريد بذلك أن يتغلب على محدودية اللغة التي يمكن عد مصطلحاتها بالآلاف،إلا أن معانيها تعد بالملايين وهي لا متناهية كما يقول الفخر الرازي (١).

ولقد حاول الإنسان قديماَ وحديثاَ أن يلجأ إلى وسائل مساعدة للتغلب على مشكلة إيصال المعنى و توصيله. وقد وجد في "الأساليب ألأدبية"المستخدمة ضالته.وهذا يعنى لسانياَ أن الأسلوب هنا ليس أسلوباَ عادياَ وإنما هو أسلوب معدول به.وهنا ينبغي على الكاتب أن يكون حذراَ عندما يلعب لعبة العدول والتوسع في لغته لئلا يقع فيما بينهما بـ"الغموض الأدبي".وعلى أية حال،فإن الكاتب الموهوب هو الذي يمسك بآلة الصناعة، ويحسن سياسة الأسلوب،يجيد اللعبة ويستخدم الأدب استخداماَ وظيفياَ رائعاَ،بحيث يكون رديفاَ لوظيفة اللغة في عملية الإيصال والتواصل.

يتبين لنا من خلال ما سبق أن للأدب "لغة"تختلف عن"لغة" الاستعمال اليومي،لغة الأدب لغة مختارة ومعدلة،إنها لغة تدخل في فلك المجاز البلاغي.أما لغة الاستعمال اليومي فهي لغة مألوفة متواضع عليها،تدخل في فلك الاستعمال الحقيقي كما يقول البلاغيون العرب.

ونقترب قليلاَ من علاقة اللسانيات بالأسلوبيات فيظهر لنا أولاَ من مهمات الأسلوبيات كشف السمات الأسلوبية للغة الأدب،ثم رصدها لمعرفة كمية التأثير والتأثر ونوعيته عند المتلقي.والواقع أن اهتمام

(١) التفسير الكبير: للفخر الرازي ص ١٤ المطبعة العامرية – القاهرة ١٣٠٨هـ.

اللسانيين المحدثين بظاهرة"العدول" كما يسميها البلاغيون العرب،هو اهتمام حديث لم ينتبه إليه اللسانيون البنيويون الأوائل.فاللساني الرائد دي سوسير لم يكن مهتماَ باللغة المكتوبة بقدر ما كان مهتماَ باللغة المنطوقة والاستعمالات اليومية لتلك اللغة،وبهذا المنحى يكون سوسير"العالم اللساني الأول أسس لدراسة اللغة بكونها نظاماَ متكاملاَ ومتزامناَ،مستبعداَ دراستها انطلاقاَ من أية قيمة زمنية".(١)

وقد جعل هذا التفكير دي سوسير يتجنب الدراسة اللسانية للأدب الذي هو حسب رأيه استعمالات خاصته للغة.وقد سار تلميذه تشارلز بالي في المسار نفسه على الرغم من أنه هو الذي كان قد أسس الدراسة المنتظمة لما يعرف اليوم بـ(الأسلوبيات).

أما بلومفيد.فعلى الرغم من أنه تنبه إلى القيم الثقافية للأدب إلا أنه لم يدخله في إطار البحث اللساني ذلك أنه،حسب رأيه،هو عدول عن الاستعمال العادي للغة.ذلك العدول الذي ارتبط بما كان بلومفيد يرفضه كحقل مستقل بذاته ألا وهو حقل "فقه اللغة"ذي العلاقة الوشيجة بالأدب.

ولكن بعد أن أصبح علم اللسان علماَ يقف برأسه،ومستقلاَ عن بقية العلوم الأخرى،فإنه لا جرم من فتح الجبهات المختلفة التي أغلقها على نفسه في بداية نشوئه.وما الانفتاح الذي تم حديثاَ على حقل الأدب والذي كان من ثمراته نشؤ"الأسلوبيات"إلا برهان على هذه العلاقة الإيجابية بين اللسانيات والأدب.

---

(١) البنيوية في النقد العربي المعاصر: د/يوسف حامد جابر ص١٥ ط أولى- مؤسسة اليمامة- الرياض ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، والبنيوية:جان بياجيه. ترجمة/ عارف منيمنة وبشير أوبرى ص٦٤ ط ٣ منشورات دار عويدات – بيروت – باريس ١٩٨٢م.

والواقع أن اللسانيات تطور نفسها من خلال النظريات الكثيرة والمتنوعة،لذلك لابد للباحث الأسلوبي أن يستفيد من المبادئ الأساسية المطروحة في هذا العلم والتي هي مشتركة بين جميع الاتجاهات اللسانية دون التعصب لاتجاه لساني بعينه.ولقد عدد الدكتور مازن الوعر أسباباً تدعونا إلى افتراض هذه العلاقة الوشيجة بين اللسانيات والأدب جاءت على النحو التالي [1]:

١/إن كل كاتب أو شاعر هو في الأصل عضو من أعضاء الجماعة التي يتكلم لغتها ويكتب بها.أضف إلى ذلك أن هذه اللغة هي في الأصل لهجة منطوقة كانت قد تغلبت على لهجات أخرى لتحل محلها،ومع مرور الزمن أصبحت لغة لها احترامها وتقديرها ومكانتها من حيث إنها لغة وطنية يكتب الأدب بها. ومن هنا فإن الكاتب أو الشاعر لابد أن يتأثر بمتطلبات هذه اللغة التي كانت لهجة منطوقة ثم أصبحت لغة تكتب بها النصوص الأدبية.

٢/إن أغلب الصفات التي كان يظن أنها "أدبية"هي صفات "لسانية–صوتية"صحيح أن الأشكال الكتابية–المطبعية تنقل هذه الصفات مكتوبة لنقرأها إلا أن هذه الصفات تعمل فقط على أنها بديل التأثير السمعي الذي يطرق آذاننا.فالنثر وظيفة صوتية،وكذلك القافية والأوزان الشعرية عموماً.وهكذا فإن الصيغ الصوتية والتركيبية المستعملة في أنواع أدبية عديدة تدين في تأثيرها لمعرفتنا ببنية النص المنطوق.

٣/تبحث اللسانيات اليوم بمبدأ يكمن في التأثير الذي تفرزه بعض الكلمات لفظها ومعناها كالخرير والحثيث والقعقعة والصهيل،

(١)" الاتجاهات اللسانية المعاصرة ودورها في الدراسات الأسلوبية": د/ مازن الوعر ص ١٥٠.

كما تبحث بتأثير الأصوات عندما يرتبط بعضها برقاب بعض عن طريق انسجامها وتواترها وتنافرها وائتلافها وتغيرها.....الخ

إن قارئ هذه التأثيرات الصوتية لا يمكن فعل ذلك إلا إذا استعان باللسانيات.

٤/حاجة بعض الأنواع الأدبية لأن تعبر عن الكلام المنطوق بوساطة شخصية أدبية كما هو الأمر في الأدب الدرامي-المسرحي.إن المتفرج يود أن تحقق هذه الشخصية الأدبية كل لأن النظام الألف بائى غير كاف لتمثيل ككل ما يقال "كتابة".

من هنا فإن الكاتب المسرحي يلجأ إلى كفاءة الشخصية ومهارتها التي تؤدي هذا المكتوب أو أخلاقاَ مع نبر صحيح، وإشارة سيميائية معبرة،ونغمة صوتية مؤثرة،ونطق متقطع، ووقفات كلامية، وإعادة لما يمكن أن يعاد، ثم ربط كل هذه المكونات بالحركات الجسمية التي تؤديها اللسانيات الحديثة لكي يستثمرها في عمله المسرحي، ليكون أنجع إيصالاَ وتوصيلاَ.

□وفي الختام لا نملك إلا أن نقول:

إن هذا المفهوم الجديد لعلاقة اللسانيات بالأسلوب الأدبي هو مفهوم حديث يختلف عن المفهوم القديم،ذلك المفهوم الذي كان يحصر دراسة الأسلوب الأدبي ضمن النقد الأدبي فقط دون الاهتمام بالأساليب الأخرى الخارجة عن نطاق ذلك النقد.والحقيقة إن دراسة النصوص الأدبية بكافة مستوياتها و أساليبها دراسة واعية وحذرة،ستكشف لنا أن الأسلوبيات الحديثة هي دراسة مفيدة يمكنها أن تبين لنا أن الاستعمال الأدبي للغة يعين الكاتب على التعبير عن معان جديدة ومختلفة،ويعود السبب في ذلك إلى الوعي القصدي والاستعمال الحذر للأسلوب الأدبي في تعامله مع اللغة تعاملاَ جماليا

يأتي من خلال اختيار الموضوع المعالج أولاَ،ومن خلال ترتيب المفردات اللغوية وتنظيمها ثانياَ،ثم من خلال الخيال الذي يحطم إطار اللغة ليتجاوزها إلى ما يسمى وراء اللغة(أو فوق اللغة).

إن المهمة الرئيسية للأسلوبيات هي قياس المسافة بين هذه الصفات الأدبية للأسلوب،وبين الصفات العادية اللغوية المألوفة،ثم تحديد كيفية استعمال الكاتب أو الشاعر للصفات الأدبية لكي يجعلها مقبولة لدى المتلقي ومؤثرة فيه في الوقت نفسه.وهذا يقودنا إلى مهمة أخرى للأسلوبيات وعلاقتها باللسانيات وهي الالتفات إلى الكاتب أو الشاعر نفسه ذلك لأن الأسلوب الأدبي يظهر اختلافاَ كبيراَ نتيجة لاختلاف الكتاب والشعراء من جهة، واختلاف موالاتهم ومعالجاتهم للموضوع الأدبي من جهة أخرى،سواء أكانت نفسية أم فلسفية أم تاريخية أم إيديولوجية مذهبية.وهو مالخصه الجاحظ في قوله الذي بلور هذه المفاهيم اللسانية:

"كلام الناس في طبقات،كما أن الناس أنفسهم في طبقات.فمن الكلام الجزل والسخيف والمليح والحسن والقبيح والثقيل ..وكله عربي ....وتنزيل الكلام هذه المنزلة يحتاج إلى تمام الآلة و إحكام الصنعة واقتناع المتكلم بأن سياسة البلاغة أشد من البلاغة".(١)

والحمد لله ولى التوفيق،والقادر عليه،وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) البيان والتبيين: للجاحظ. تحقيق/ عبدالسلام هارون ج١ ص ١٤٤، ١٦٢، ١٩٧ ط مصر ١٩٦٩م.

مصادر البحث ومراجعه

-القرآن الكريم.

١ـالأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية:

د/فتح الله سليمان ط الهيئة المصرية ١٩٧٨م٠

٢/الأصول اللغوية:

د/عبد القادر عبد الجليل ط عمان ١٩٩٨م٠

٣/الألسنية والنقد البنيوي:

د/محمد نديم خشفة-جامعة قسنطينة-الجزائر٠

٤/البحث اللغوي عند العرب:

د/احمد مختار عمر ط القاهرة ١٩٨٨م٠

٥/البرهان في علوم القرآن:

للزركشي.تحقيق/محمد أبو الفضل إبراهيم-ط القاهرة-بدون٠

٦/البلاغة والأسلوبية:

د/محمد عبد المطلب ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م٠

٧/البنيوية:

جان بياجية.ترجمة/عارف منيمنة و بشيرأوبري-ط٣ منشورات دار عويدات -بيروت-باريس ١٩٨٢م٠

٨/البنيوية في النقد العربي المعاصر:

د/يوسف حامد جابر-ط أولى-مؤسسة اليمامة-الرياض١٤٢٥-١٩٨٢م٠

٩/البنية اللغوية في اللهجة الباهلية:

د/عبد القادر عبد الجليل ط عمان ١٩٩٧م٠

١٠/**البيان والتبيين**:

لأبي عثمان الجاحظ.تحقيق/ عبد السلام هارون ط مصر ١٩٦٢م٠

١١/**تاريخ علم اللغة**:

جورج مونين.ترجمة بدر الدين قاسم ط حلب –سوريا ١٩٨١م٠

١٢/**التطور اللغوي مظاهر وعلله وقوانينه**:

د/رمضان عبد التواب ط٣ الخانجي القاهرة١٤١٧هـ١٩٩٧م٠

١٣/**التفسير الكبير**:

للفخرالرازي . المطبعة العامرية الظاهرة ١٣٠٨م ٠

١٤/ **دراسات الأسلوب بين المعاصرة والتراث**:

د/أحمد درويش – ط القاهرة ١٩٩٧م٠

١٥/ **دراسات في فقه الُلغة**:

د/ صبحي الصالح – ط بيروت ١٩٦٠م٠

١٦/ **الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي**:

د/عبد القادر عبد الجليل ط عمان ١٩٩٧م٠

١٧/**العلاماتية (السيميولوجيا) قراءة في العلامة اللغوية العربية** : د/ منذر المياشي ط أول – موسسة اليمامة – الرياض ١٤٣٠-٢٠٠٩م .

١٨/ **علم اللسانيات الحديثة** :

د/ عبد القادر عبد الجليل. ط- أول-دار صفاء-عمان ٢٠٠٢م-١٤٢٢هـ .

١٩/ **علم اللغة** :

د/ علي عبد الواحد وافي ط ٧ نهضة مصر- القاهرة- بدون .

٢٠/ **علم اللغة العام** :

د/ محمد أحمد حماد ط أول – دار أشبيلية – الرياض ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .

٢١/ **علم اللغة مدخل نظري في اللغة العربية** :

د/ محمـــود عكاشـــة ط أول – دار النشـــر للجامعـــات – القـــاهرة ٢٠٠٦/٢٠٠٧م .

٢٢/ **قراءات أسلوبية في الشعر الحديث** :

د/ محمد عبد المطلب ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥م .

٢٣/ **اللغة بين ثنائية التوقيف والمواضعة** :

د/ عبد القادر عبد الجليل المسار اليوناني ط عمان ١٩٩٧م .

٢٤/ **اللغة بين المعيارية والوصفية** :

د/ تمام حسان ط الدار البيضاء ١٩٩٢م٠

٢٥/ **اللغة العربية كائن حي** :

جرجي زيدان ط دار الهلال – القاهرة – بدون تاريخ٠

٢٦/ **معجم اللسانيات الحديثة** :

د/ سامي عياد وآخرون – ط لبنان – ناشرون ١٩٩٧م .

٢٨/ **مدخل إلى علم الأسلوب** :

د/ شكري عياد – القاهرة ١٩٦٧م .

٢٩/ **المدخل إلى علم اللغة** :

د/ رمضان عبد التواب ط مكتبة الخابنجي – مصر – القاهرة – بدون

٣٠/ **مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن**:

سباتينوموسكاني و آخرون.ترجمـــة دار مهـــدى المخزومي،د/عبـــد الجبار المطلبي–ط بيروت ١٩٨٩م٠

٣١/**مشكلة البنية**:

زكريا إبراهيم.ط دار مصر للطباعة– القاهرة– بدون تاريخ٠

٣٢/مناهج البحث الفلسفي:

د/محمود زيدان ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧م٠

٣٣/المنهج الأسلوبي في النقد الأدبي في مصر التطور-النظرية-التطبيق:

مديحة جابرالسايح ط الهيئه العامة لقصور الثقافة-مصر ٢٠٠٣م٠

٣٤/نحو نظرية أسلوبية لسانية:

فيليساندرس-ترجمة د/خالد محمود جمعة-ط أولى-دار الفكر-دمشق- سورية ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م٠

مجلات:

١-مجلة عالم الفكر:مجلد(٢٢)العددان(٣،٤)يناير-يونيو ١٩٩٤م الكويت٠

٢-مجلة فصول المصرية:جـ١ مجلد(١)عدد(٢)يناير ١٩٨١م٠

تم بحمد الله،،،